

الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحابتة أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

فوائد دراسة باب الاجتهاد والفتوى.

- هذا العلم يتعلق بأبواب الاجتهاد والتقليد والفتوى، وهذا العلم علمٌ مهمٌ، فهو أولاً من طلب العلم الشرعي، الذي يتقرب به إلى رب العزة والجلال ، فيدخل في قول النبي -صلى الله عليه وسلم: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، رضا بما يصنع».
- ثم هو ثانياً طريقٌ إلى إعادة الأمة، إلى كتاب الله -عزَّ وجلَّ-، وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، لأن الاجتهاد يعني استخراج الأحكام الشرعية، من كتاب الله، ومن سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-.
- ثم هو أيضاً طريقٌ للتفريق بين أنواع الناس، من هو المؤهل لأن يُستفتى ويُسأل، ومن هو الصالح للفتوى والاجتهاد، ومن هو من ليس كذلك.
- أن يكون عندنا -بإذن الله عزَّ وجلَّ- معرفةً بالطريق الذي تصلح به أحوال الأمة، وتحذر من أنواع العقوبات الدنيوية، والأخروية، ولذا قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122].
- في دراسة هذا الباب، نتمكن من معرفة المسائل والنوازل الجديدة، التي تحدث في الأمة.
- فحينئذٍ نعلم أن الأمة في جميع الأزمنة تحتاج إلى هذا الباب، باب الاجتهاد، لماذا؟ لأنه هو الذي يحفظ الله به هذا الدين، ويعيد به الأمة إلى الأصول الشرعية، كتاباً وسنةً.
- بواسطة هذا العلم، نكتشف الفرق بين أولئك الذين يتركون بزي العلم؛ ليخدعوا به الخلق، فإننا وجدنا من يتظاهر بالعلم والفتوى، من أجل تحقيق مقاصد دنيويةٍ له، وبالتالي نحتاج إلى معرفة المؤهلات، والصفات التي نستطيع بها أن نفرِّق بين من يقول لله من العلماء، وبين أولئك المتزيين بزي العلماء، وهم ليسوا منهم، إنما يريدون مكاسب الدنيا.
- من فوائد تعلم هذا الباب أيضاً: أن يكون الاجتهاد منضبطاً بالضوابط الشرعية، والطرائق المرعية، وبالتالي يعرف الناس دين الله -سبحانه وتعالى-.

- الناس على صنفين، أهل الاجتهاد، وهم الذين يتمكنون من استخراج الأحكام من الأدلة، وهؤلاء يجب عليهم أن ينظروا في الأدلة، وأن يحكموا بها، ويقابلهم أهل التقليد، وهم الذين لا يتمكنون من أخذ الأحكام من الأدلة، وذلك لأن أخذ الأحكام من الأدلة ليس أمرًا اعتباطيًا، وليس كل واحدٍ من الناس يتمكن منه، وعندما يأتي بعض الناس ويقول: أنا لا أحتاج إلى فتوى المفتين، أو يكفيني ما تتولد به قناعتي، نقول: قد خالفتَ شرع الله في هذا، وقد خالفتَ ما أمر الله -عزَّ وجلَّ- به، وما أمر به رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ليس في ما تذكر طريقةً شرعيةً، بل الطريقة الشرعية مخالفةٌ لهذا.
- قد يقول بعض الناس: إنه قد ورد في الحديث، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **«استفتِ نفسك، وإن أفتاك المفتون، ثم أفتوك»**.
- فنقول له: هذا لم تفهمه؛ لأنه لا توجد عندك أدوات فهم الأدلة من كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-، فليس المراد أن يرجع الإنسان إلى ظنه المجرد، الذي لا يُبنى على دليل، فإن هذا مذمومٌ في الشريعة، كما قال تعالى: **﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾** [الأنعام: 116] فهذا مذمومٌ، وممنوعٌ منه في الشرع، وإنما المراد بالحديث أن الإنسان إذا اشتبهت عليه المسألة، ووجد من يفتي بالجواز، لكن الإنسان مترددٌ فيها، فإن المشروع في حقه، أن يتورع عنها، وأن لا يأخذ بها، كما في قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **«دع ما يريك إلى ما لا يريك»**.
- إذن هذا الفهم خاطئٌ، ويدل عليه جزء الحديث الآخر، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **«جئت تسألني عن البر والإثم»** ثم قال: **«الإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس»**، فهذا الذي يتحشرج في الصدر، هذا هو المراد بقوله: **«استفتِ قلبك»**، أي: هذا الذي تستريب منه، اتركه، ولا تأخذ به؛ لوجود هذه الحشرة التي في الصدر تجاه هذا الفعل.
- وبالتالي لا يصح للإنسان أن يأخذ باعتقاداته، أو بأرائه، أو باجتهاداته وهو ليس من أهل الاجتهاد والعلم والفتوى، ويدلك على هذا أن فهم النصوص ليس من الأمور الاعتباطية، بل له قواعد، وضوابط، وأنواعٌ، وهناك نصوصٌ قد تخفى عليك، وهناك نصوصٌ قد لا تفهم المراد بها، وقد يكون هناك نصوصٌ يراد بها غير ظاهرها، وكم من محاولات الفهم من أناسٍ غير مختصين في الشريعة، فنزلوا كلام الله -عزَّ وجلَّ- في غير مراد الله، وحملوا الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية على معاني مخالفةٍ لشرعية الإسلام. إذن نحن في أشد الحاجة للفتوى وأهل الفتوى.
- إذا نظر الإنسان إلى أثر الفتوى في حياة الناس، وكيف كان الاجتهاد الذي يبذله العلماء الربانيين له آثارٌ حميدةٌ في الأمة، بل في العالم أجمع، وأعطيك أمثلةً، أولئك الذين حاولوا أن يُظهروا اسم الإسلام، لكنهم يعملون ما يخالف أصول دين الإسلام، بسفك الدماء، وانتهاك الحرمات، ونقض العهود، وعدم الالتزام بالمواثيق، هؤلاء كيف نجاههم ونقف في وجوههم، إلا بواسطة جهود العلماء، الذين يبينون الحقيقة الصحيحة لدين الإسلام، هذه الجريمة سواءً كانت اعتداءً على دمٍ، أو مالٍ، أو غيره، هذه الجرائم التي تقع في العالم، كيف نحذر الناس منها، ونبين أنها محرمةٌ، مخالفةٌ لدين الله، وأنها من الإفساد في الأرض، المذموم شرعًا، إنما يكون هذا بواسطة الاجتهاد الذي يقوم به علماء الشريعة.

- عامة الناس في أشد الحاجة إلى مذاكرة هذا الباب، لماذا؟ لأنهم يحتاجون إلى معرفة مَنْ هو المؤهل للفتوى، ومن ليس كذلك، من الذي يجوز الاعتماد على قوله، ماذا نفعل عند اختلاف المفتين، واختلاف الفتوى، ما هي الطرائق الشرعية المتعلقة بهذا الباب، كيف نحذّر عامة الناس من أن يقولوا على الله بلا علم، هذا الذنب العظيم، الذي تواترت النصوص بالتحذير على صاحبه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى * فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ [طه: 61، 62].

{ذكرتم حديث ابن عباس -رضي الله عنهما: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» ، هل هذا يعني أن يجب عامة الناس أن يكون على فهم المستوى في الفتوى؟ أن من لم يفقهه في الدين لم يرد الله به خيراً}.

- من لم يرد الله أن يفقهه في الدين، فلم يرد الله به الخير في هذا الباب، في باب مسائل العلم والفتوى؛ لأنه أصبح تابعاً، وهذا فيه أيضاً إشارةً إلى معنى آخر من معاني أهمية هذا الباب، ذلك المفتي وذلك المجتهد، لما دل الخلق على حكم الله -عز وجل- كان هذا من أسباب تمسك الناس بدين الله، وبالتالي يكون له أجرٌ مماثلٌ لأجورهم في العمل بشريعة رب العزة والجلال، لما فقد العلماء في بعض المجتمعات، سرت إلهم البدع، ودخلت عليهم النزاعات والخصومات، وكان هذا من أسباب وجود مخالفات عظيمة لكتاب الله -عز وجل-، ولسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-، فهذا كله يدل على أهمية هذا الباب، باب الاجتهاد والفتوى.

◀ هل الفتوى مقابل التغيير أم لا؟ هل يأتي هناك وقتٌ ثم يغيّر الفتوى التي أفتاها من قبل؟.

- تغيير الفتوى هذا له أسبابٌ، من تلك الأسباب أن يكون الحكم مناصباً بوصفٍ، فيتغير ذلك الوصف، فيؤدي ذلك إلى تغير الحكم.
- مثال ذلك: أفتيك اليوم أنه يجب عليك الزكاة، لماذا؟ لأنك تملك النصاب، بعد خمسة أشهر أفتيتك بأنه لا تجب عليك الزكاة، لماذا؟ لأنك لم تعد مالِكاً للنصاب، تغيرت الفتوى، ما يأتيني أحدٌ يقول: هذا تناقضٌ، لا، هذا ليس تناقضاً، هذا جري على سنة واحدةٍ، لأن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدمًا.
- من أسباب تغير الحكم: عدم اطلاع الفقيه على دليلٍ في السابق، ثم اطلع عليه، قد يكون عنده دليلٌ عامٌّ، فيأخذ به، وحينئذٍ يتغير يكون عنده دليلٌ عامٌّ فيأخذ به، ثم بعد ذلك يصل إليه دليلٌ خاصٌّ في مسألةٍ بخصوصها، فيأخذ بذلك الدليل الخاص، فتلاحظون هنا أن التغير هنا نتج لأسبابٍ، أن التغير لا يكون هذا مقابلاً للاجتهاد، بل الاجتهاد يتغير بتغير أسبابه أو ظروفه أو أحواله أو صفاته، ومن ثم لا يُعد هذا قاذحاً في ما يتعلق بالأحكام الشرعية.

◀ ما هو الاجتهاد؟

- الاجتهاد هو استخراج الأحكام الشرعية من الأدلة التفصيلية، بعضهم حصّره بالأحكام العملية، ولكن الذي يظهر أن الاجتهاد أعم من ذلك، وتلاحظون أيضاً أن بعض الناس قد يطلق لفظة مسائل الاجتهاد، ويريد بها المسائل التي ليس فيها دليلٌ قاطعٌ، يُجزم به، وإنما هو محل النظر، فهذا قد يسميه بعضهم مسائل الاجتهاد، لكن لفظة الاجتهاد عند العلماء يُراد بها أصالةٌ أعم ما هو من ذلك، بما يشمل المسائل فيها دليلٌ قاطعٌ، والمسائل التي فيها دليلٌ ظنيٌّ، متى كان استخراجاً للحكم الشرعي من أدلته التفصيلية، سميناه اجتهاداً.

- وكما تقدم أن الناس ينقسمون إلى أهل الاجتهاد، وهم الفقهاء الذين يأخذون الأحكام من الأدلة، وعندهم القدرة على ذلك، والصنف الثاني المقلدون، وهم الذين يراجعون العلماء فيأخذون بفتاواهم واجتهاداتهم، وتبرأ ذممهم بذلك.

← شروط الاجتهاد

- هناك أربع صفاتٍ، من وجدت عنده فهو الفقيه الذي يجب عليه أن يجتهد، ويحرم أن يأخذ بقول غيره، مهما بلغت درجة ذلك الغير من العلم.
- ❖ **الصفة الأولى:** معرفة الأدلة التفصيلية في المسألة المجتهد فيها، بحيث يغلب على ظنه أنه لا يوجد دليلٌ غير ما هو حاضرٌ بين عينيه.
- ❖ **الصفة الثانية:** أن يكون لديه القدرة على تطبيق قواعد الفهم والاستنباط المعروفة في علم الأصول، فمن لم يكن قادرًا على تحصيل الأحكام من الأدلة بواسطة هذه القواعد، فهذا لا يُعدُّ فقيماً مجتهداً.
- ❖ **الصفة الثالثة:** أن يعرف مواطن الاجتماع والاختلاف؛ لئلا يجتهد في مسألةٍ فيها اتفاقٌ سابقٌ، وإجماعٌ سابقٌ.
- ❖ **الصفة الرابعة:** أن يعرف من لغة العرب ما يُمكنه من فهم الأدلة الشرعية.

▶ ما الدليل على أن أهل الاجتهاد لا يُراجعون غيرهم؟

- أدلةٌ، أولها: النصوص الآمرة بتحكيم الكتاب والسنة، والعمل بهما، قال الله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 3]، أمر باتباع ما أنزل قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [محمد: 33]، وهذا بالعمل بما في الكتاب والسنة.
- إذن الفقهاء يجب عليهم أن يعملوا بالاجتهاد، ولذا قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43]، أما من كان يعلم، أو لديه أهلية التعلم، بحيث تصبح قوةً قريبةً، هذا لا يجوز له التقليد، بل يجب عليه أن يعمل باجتهاد نفسه.
- من لم توجد فيه هذه الصفات، فإنه يراجع العلماء، ويسأل الفقهاء من الصنف الأول.
- المصطلح الشرعي عندنا الفقيه، وقد يسمونه المفتي، وهذا باعتبار ما يؤديه، وقد يسمونه المجتهد، باعتبار العمل المبتدأ من عمله، وهؤلاء كلهم يقال لهم هذا الاسم، وهؤلاء كلهم علماء.
- العلماء والفقهاء يجب أن يجتهدوا في وقائع الناس، فيستخرجوا الأحكام الشرعية في ما تتعلق بالوقائع والنوازل الجديدة، وهكذا يجب عليهم أن يتقربوا إلى الله -عزَّ وجلَّ-، ببيان الحكم الشرعي وتوضيحه، وهذا حكمٌ في الجملة.
- **من هو العالم الرباني؟**
- فسَّره ابن عباس بأنه من يربي الناس على صغار العلم قبل كباره، وبعض التابعين قال: هو من يحبب الخلق في الله، ويحبب الله في الخلق.

• هناك عددٌ من الصفات:

❖ **الصفة الأولى:** أنه يحذّر من الآخرة، فيجعل الآخرة بين عيني المستفتي، فهو لا يقتصر على الحكم

الديني، وإنما يلتفت ويرتبط بأحكام الآخرة، فيذكّر الناس بالله، وبمراقبته، وبالوقوف بين يديه - سبحانه وتعالى-، ليس همه الدنيا، وإنما همه الآخرة.

❖ **الصفة الثانية:** الاعتماد على النصوص الشرعية، فهو يرجع إلى كتاب الله، وإلى سنة رسوله -صلى

الله عليه وسلم.

❖ **الصفة الثالثة:** أنه لا يُضمّر في صدره على أحدٍ، بل رغبته في وصول الخير للجميع، وابتعاد الشر

عنهم، وهذا ينطلق من محبته لعباد الله، ومحبته الخير، ومحبته انتشار الخير بين الناس.

❖ **الصفة الرابعة:** أنه ينتقي من الألفاظ والأساليب ما يكون سببًا في التزام الخلق بدين رب العزة

والجلال.

• مسألة أن شروط الاجتهاد السابقة قد تكون متعلقةً بجميع مسائل الفقه، وقد تكون متعلقةً ببعض

المسائل، سواءً بعض الأبواب، فيكون مجتهدًا جزئيًا، فالأول عنده اجتهادٌ، وعنده أهليةٌ للنظر في جميع

المسائل، والثاني مختصٌّ بابٍ واحدٍ، تجد بعض الفقهاء يكون عنده إلمامٌ بباب الموارث، لكنك لو سألتَه في غيره من الأبواب قد لا يتمكن من الجواب، ولا يعرف الصواب فيه.

• هناك بعض العلماء، قال: لابد أن يكون مجتهدًا في جميع الأبواب، وفي جميع المسائل، ولكن اشتراط مثل هذا

أولاً يحتاج إلى دليلٍ، وثانيًا أن المقصود إعطاء المفاتيح التي يتمكن بها الإنسان من فهم الأدلة، فيستخرج

الأحكام بناءً على ما في هذه الأدلة، ومن ثمَّ نعرف تبرير العلماء عندما تُعرض عليه مسائل، كأربعين

مسألةً مثلاً أو خمسين مسألةً، فيفتي في أربعةٍ منها، ويقول في غيرها لا أعلم، أو يقول: الله أعلم، أو نحو ذلك.

• المجتهدون كما سبق قسّمناهم إلى مجتهدٍ جزئيٍّ، ومجتهدٍ كليٍّ.

(١) المجتهد الجزئي في بابٍ أو بعض المسائل.

(٢) والمجتهد الكلي في جميع المسائل.

• هناك اجتهادٌ مفردٌ، وهناك اجتهادٌ مركّبٌ، قد تكون المسألة تتعلق بفنونٍ أخرى، فيكون الاجتهاد مُركّبًا من

علمين، مثال ذلك: عندنا مسألةٌ مبنيةٌ على حديثٍ، هذا الحديث نحتاج إلى معرفة الإسناد، صحةً وضعفًا،

فالاجتهاد مركّبٌ من شيئين، من اجتهاد المحدث في تصحيح الحديث أو تضعيفه، والثاني في النظر الفقهي في المسألة، هو اجتهادٌ.

• كذلك يمكن تقسيم الاجتهاد باعتبارٍ أخرى، منها تقسيمه بحسب الاستقلال، فالمجتهدون خمسة أنواعٍ،

• **النوع الأول:** هناك المجتهد المطلق، وهو الذي لا يتقيد بأصول مذهبٍ ولا بفروعه، فيكون عنده اجتهاداتٌ

حتى في قواعد الأصول، وينبني عليها اجتهاداتٌ في المسائل الفقهية، هذا اسمه مجتهدٌ مطلقٌ، ما ينتسب إلى مذهبٍ.

- **النوع الثاني:** هناك الفقهاء المنتسبون، وأولهم أصحاب الوجوه، وهم الذين يوافقون في الأصول قواعد مذهبهم، لكنهم في الفروع قد يخالفون المذهب بناءً على قواعد المذهب.
- **النوع الثالث:** أصحاب الترجيح، فيكون في المذهب عددٌ من الروايات، فيأتي هذا الفقيه فيرجح إحدى هذه الروايات على غيرها، هذا لا يأتي بقواعد أصولية جديدة، ولا يأتي بأقوال جديدة، وإنما يختار أحد الأقوال السابقة، وهناك أصحاب التخريج، وهم الذين يقيسون المسائل الجديدة على الوارد عن الأئمة، وهناك أصحاب الحفظ، وهم الذين يحفظون ما يرد من أقوال الفقهاء السابقين.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

